كتاب التفاحة

(٣)

(المنسوب الى سقراط وتلاميذه حين وداعه بعد ما شرب الشوكران)

انكار ثواب الفلسفة وعقاب الجهالة

قال قريطون : قد لزمني ذلك كله يوم تطلبت الفلسفة اقراراً بثوابها وهرباً من عقاب خلافها. ولكن ما تقول لو رجعت منكراً ثواب الفلسفة وعقاب الجهالة

فاجاب الحكيم : ماذا يحملك على منازعتي والذهاب الى هذا القول: ارغبة في منفعة العلم والهرب من مضرة الجهل او شأن آخر

قال قريطون : يحملني على ذلك الرغبة في منفعة العلم والهرب من مضرة الجهل

فاجاب الحكيم : اراك قد اقررت بمنفعة العلم ومضرة الجهل . افلا تعد الثواب اذا أتيح نفعاً ولا العقاب ان نزل ضراً

قال قريطون : اقراري بذلك يقتصر على شأن الحياة ولا اقر به بشأن ما بعد الموت

فسأله الحكيم قائلاً : افدني عن منفعة العلم في الدنيا التي اقررت بها . أهي لذة العيش او تمام الفلسفة

فاجاب قريطون : اما وقد اقررت بمنفعة العلم ورأيت الفلسفة مضرة باللذات . واللذات مانعة من الفلسفة . فقد اضطرني ذلك الاقرار الى التسليم بان تلك المنفعة تمام الفلسفة

فقال الحكيم : انك اذا اثرت شكاً في منفعة الاخرة للفيلسوف وقد جردته من نعيم الدنيا فلا سبيل لك ان تثبت له إحراز منفعة في دنيا ولا في آخرة

قال قريطون : اذا كان اقراري بمنفعة العلم يضطرني الى التسليم بالآخرة. فانا اعود عن ذلك الاقرار ليصح لي انكار الآخرة

فقال الحكيم : اتختار السمع والبصر والعقل على الصمم والعمى والحمق

فاجاب قريطون : نعم

فسأله الحكيم : ماذا دعاك الى هذا الاختيار . اتطلب المنفعة او امر آخر

فاجاب قريطون : تطلب المنفعة لا أمر آخر

فقال الحكيم : اراك قد رجعت الى اثبات أن للعلم منفعة ومتى فعلت ذلك ثبتت الآخرة

قال قريطون : اذا امتنع عليَّ ان افرق بين المنفعة والفلسفة اثبتُ المنفعة للفلسفة . وحصرتها في الدنيا بما تنيلهُ من روح العلم وازالة عمى الجهل . ولا اقول انها تتجاوز الى ما وراء ذلك

قال الحكيم : وهل وراء ذلك الاَّ على مثال ما سبق

فسأل قريطون قائلاً : وماذا جعل ما وراء ذلك وهو الموت على مثال ما سبق وهو الحياة

فاجاب الحكيم : هل الموت الاَّ غيبة النفس عن الجسد

فقال قريطون : ليس الموت الاَّ تلك الغيبة

فقال الحكيم : ايصلح الغائب في غيبتهِ الاَّ ما يصلحهُ في حضورهِ

فقال قريطون : ذلك ما لا اجد الدليل عليهِ

فقال الحكيم : ايُّ دليل على ان النفس تنتفع في غيبتها بغير ما تنتفع بهِ في حضورها . او ان الذي يضرُّها في غيبتها هو غير ما يضرُّها في حضورها

فاجاب قريطون : أراك لم تدع لي مخرجاً الاَّ بالإقرار بمنفعة الفلسفة في الدنيا والآخرة وبمضرَّة الجهالة فيهما معاً . وقد اقررتُ بذلك مضطرًّا وسلَّمتُ بانني لستُ واجداً في الغيب ولا في الشهادة غير الفلسفة والجهالة وثوابهما . ولكنهُ أيمتنع ان يكون شيءٌ آخر مما لهُ وجود وجدهُ غيري وانا لم اجدهُ

فقال الحكيم : هل يثبت جواب الاَّ بعد سؤال ؟

فاجاب قريطون : لا

فقال الحكيم : فان كنت وجدت ما عنهُ تسأل فقد وجدتهُ ببعض ما عميت لك من الفلسفة والجهالة وثوابهما . وان كنتَ لم تجد شيئاً فلانهُ لا يجب لك عليَّ جواب

فقال قريطون : بل لم يثبت لي بهذا المقال سؤال . فلم يجب لي فيهِ عليك جواب . واما ما ثبت من سؤالي فقد ورد فيهِ جوابك

قال الحكيم : ان كان جواب ما سألتَ عنهُ اصاب من نفسك سؤلها فاوسع لشماس كي يأخذ سهمهُ من الكلام

قال شماس : قد وعيتُ عنك ما أدّيت الى كيناس وقريطون من كلام الحكمة وصفا ذلك كلهُ في نفسي غير كلمة رأيت قريطون قد قبل منها ما لم يثبت عندي

قال الحكيم : سل عما بدا لك

فقال شماس : مهمتك توجب انهُ لم يحضر ولم يغب شيء الاّ الفلسفة والجهالة وثوابهما فاذا يضطر رأيي الى التسليم بهذا الايجاب

فاجاب الحكيم : وهل وجدتَ شيئاً غير ذلك

فقال شماس : قد وجدتُ السماء والارض والجبال والاشجار والجوار والمنازل وسائر ما في البرّ والبحر مما لا اقدرُ ان أُسمّيهُ فلسفة ولا جهالة ولا ثواب لها دون معروف البرهان

قال الحكيم سائلاً : اتقرّ بصحة قول هرمس الذي اثبتهُ في كتاب طبائع الخلق

فاجاب شماس : وماذا قال

فقال الحكيم : اخبر ان الطبائع لا تقوى الاّ بانفصال اشكالها ولا تضعف الاّ بتلقاء خلافها اياها

فاجاب شماس : اذا لم اقرّ بذلك فلا يقتصر رأيي على خلاف هرمس وحدهُ . فانهُ يوقعني في مخالفة كل موجود . فانهُ ما من شيء من الاشياء الاّ تبدي تجربتهُ صحة ما اخبر بهِ هرمس عنهُ

فقال الحكيم : ان في اقرارك بصحة قول هرمس اقراراً منك بانهُ لا شيء الاّ الفلسفة والجهالة وثوابهما

فسأل شماس قائلاً : وكيف ذلك

قال الحكيم : هل عدا ما سمّيتَ من الارض والانعام والحرث والمنازل ان يكون من الدنيا

فاجاب شماس : ما عدا ذلك

فسألهُ الحكيم : هل تدري ما ذا حمل الفلاسفة على خلع الدنيا ونبذ شهواتها

فاجاب شماس : حملهم على ذلك علمهم بافساد الدنيا عقولهم

فقال الحكيم : أفلا ترى ان المفسد مضرّ وان المضرّ عدوّ . وعدوّ العقل انما هو الجهل

قال شمياس : لئن كان ما ذكرتَ من وقوع الضرر على الفلسفة . فما لزم الارض وما عليها اراهُ قد لزم السماء

فاجاب الحكيم : وهل السماء الاَّ كالارض

فسأل شمياس قائلاً : وماذا جعل السماء التي لا تضرُّ بالعقل كالارض المضرَّة به

فاجاب الحكيم : ان ادنى ما يريك إضرارَ السماء بالعقل حجبُها البصرَ عن النفوذ فيها فان حاجب البصر عدوٌّ لهُ . وما عادى البصرَ عادى العقل ايضاً

قال شمياس : قد أقررتَ بذلك في ما أُشاهدهُ فكيف البرهان في ما غاب عني

فاجاب الحكيم : هل عدا ما غاب احد أمرين ان يكون موافقاً او مخالفاً للمشاهد

فقال شمياس : ما عدا ان يكون احد هذين الامرين

فقال الحكيم : هل للمتفق الموافق بدٌّ من التعاون او للمختلف المخالف بدٌّ من المضادَّة

فاجاب شمياس : الآن أوجبتَ عليَّ التسليم بجميع ما قلت

النفّاع والدفّاع

وعاد شمياس الى الكلام فقال : ايها المعلم الصالح فسِّرْ لي كلمة وجدتها في كتاب افلاطون الكبير(١) الذي اورثهُ تلاميذهُ فاني وجدتهُ يقول : كلُّ نفّاع دفّاعٌ وليس كلُّ دفّاع بنفّاع . فليستكثر الفيلسوف من النفّاع الدفّاع ويقتصر من الدفّاع غير النفّاع على الكفاف

(١) هذا السؤال يقال فيه اما انه حقيقي او مصنوع . فان كان مصنوعاً فلا عبرة في انه اثبت وجود رجلين فاكثر من اهل الفلسفة تحت اسم افلاطون فان الحديث المصنوع يؤتى به لغاية من صنعه لا لتحقيق قضية تاريخية من مستلزمات الحديث المصنوع . وان كان حقيقياً فالكبير اما صفة كاشفة او صفة اعظام . ان كانت صفة للكشف اي للتمييز بين اثنين فاكثر اقتضى ان يشتهر في عالم الفلسفة اثنان فاكثر باسم افلاطون وهذا ما لم اطلع عليه في كتب الفلاسفة واحسب انه لو كان حقيقة لورد دليل يؤيده . ولم يرد على ما اعلم دليل الا ما تضمنه هذا القول وهو لا يصح قبوله هنا لان القول الواحد لا يصح ان يكون دعوى ودليلاً على صحة تلك الدعوى في موطن واحد . بقي ان تكون صفة كبير للاجلال . وهذا الذي اذهب اليه فكم من ذي شأن دعي بالكبير او العظيم في حياته لجليل شأنه

فاذا صحت صفة كبير للفيلسوف افلاطون معاصر سقراط دون سواه ثبت ما قدمته في صدر هذا الكتاب ان الحديث كله مصنوع اذ من خلاف في ان افلاطون معاصر سقراط كان حاضراً بين من اجتمعوا حول سقراط حينما لفظ نسمة الحياة

قال الحكيم : قد اخبرك افلاطون انهُ لا يصلح للفيلسوف الاَّ نافع ينفعهُ ودافع يدفع عنهُ . واما عنى بالنفاع الذي جمع مع نفعهِ دفعاً العلمَ الذي يجمع مع دفعهِ الجهالة عن الفيلسوف نفعهُ لنفسهِ . وامر ان يستكثر منهُ . وعنى بالدفاع غير النفّاع مطعم الفيلسوف الذي يكفي لغذائهِ وثوبهُ الذي يواري عريهُ . ومسكنهُ الذي يكنهُ . فامر بالاقتصار فيهِ . وعلَّم ان الافراط في هذه الاشياء مضرٌّ بالفلسفة . وان الاقتصار على القليل منها اولى فان الافراط من جميعها دافع عن الفلسفة غير زائد فيها . فينبغي للفيلسوف ان يلوذ بالقناعة ويعكف على العلم

قال شماس : وما يمنع الدفّاع ان يكون نفّاعاً وقد شارك النفاع في الدفع

قال الحكيم : يفصل بين النفّاع الدفّاع والدفاع غير النفاع امران . الاول : ان الدفاع غير النفاع لو باشرك مباشرة الضرّار أضرَّك . وأن النفاع لا يرد منهُ عند المباشرة الاَّ نفع على انهُ يجمع مع النفع دفعاً . والثاني : ان الدفاع غير النفاع لن يدفع عنك الاَّ اذا اقتصرتَ منهُ على القصد . فان جاوزتَ القصد الى الافراط نزل منزلة الضرّار وحتم عليك ان تستقرّ منهُ بدفاع نفاع او دفاع غير نفاع

قال شماس : وكيف ذلك

فاجاب الحكيم : ألا ترى انك لو اقتصدتَ في المطعم لدفع عنك الجوع او في المشرب لأطفأ الظمأ . وان اكثرت ضرَّك الإكثارُ مضرة السلاح لصاحبهِ

قال شماس : وكيف ذلك

فاجاب الحكيم : ان المقاتل يدفع عن نفسهِ بسيفهِ فان اخذهُ منهُ عدوّهُ بلغ منهُ مثلما كان صاحبهُ يبلغهُ من عدوّهِ . وقد تدفع عن المقاتل جُنَّتهُ فتقيه من شرّ سلاح عدوّه فان افرط ثقلها فجار على جسمهِ قتلتهُ كما يقتلهُ عدوّهُ . هذا شأن الدفّاع غير النفّاع

اما الدفاع النفاع من العلم والحكمة فلا ينقلب على صاحبهِ انقلاب السلاح . ولا يفرط عليهِ افراط الطعام . فاراد افلاطون ان يفصل بين النفاع الدفاع والدفاع غير النفاع بالذي سمعت من قولهِ

قال شماس سائلاً : وهل شمل كلامهُ عن هذين الامرين كل شيء

فاجاب الحكيم : بقي امرٌ ثالث اذا جُمع اليهما كان ضمها معاً جامعاً كلَّ شيء من الامور

فقال شماس : وما ذلك

فاجاب الحكيم : الاشياء ثلاثة . نفاع دفاع . ودفاع غير نفاع . وضرار غير نفاع ولا دفاع

قال شماس : وما هو ذلك الضرار غير النفاع ولا الدفاع

فاجاب الحكيم : ما اتى بهِ الافراط من الدفاع غير النفاع . صار ضراراً لا ينفع ولا يدفع

الشيخ امين
ظاهر خيرالله

ستأتي البقية

رؤيا صادقة

امنية عراقية

نمت ليلة فحلمت اني في حديقة غناء وروضة فيحاء فيها اصناف الشجر والثمر والزهر والطير فأخذت اسرح الطرف في جوانبها الاربعة متمتعاً بما تشتهيهِ الانفس وتلذ بهِ الاعين ثم مشيت في طرقها المرشوشة بالماء العطر فرأيت كرسياً طويلاً فاستلقيت عليهِ مفكراً فيما مر علي فقلت : ما اسعدني اليوم بين هذه الاشجار النضرة والورود العطرة والطيور المغردة والمياه الجارية فما اطيب البقاء في حديقة ليس فيها من يزور او يغتاب ولا من يتجسس فينتقد ظلماً وعدواناً ثم سكت وقلت في نفسي : ما اهنأ العيش في جنينة ليس فيها من ينغشك ويضحك منك ولا من يضرك بمفترياتهِ او يقلقك بنمائمهِ تتمتع بهذه المناظر والالوان ولا تأسف على دنيا خدمتها فاهانتك وعمرتها فهدمتك وطلبتها فردتك وتعبت لاجلها فاهلكتك دعها ومن يسكنها في ضلالهم يعمهون وانسهم وطربهم يلتهون وبكسلهم وبطالتهم يشتغلون . يعيشون كما تعيش البهائم ويموتون كما تموت . يفسرون الحياة بالاكل والشرب والتناسل فالهات ولا يأسفون على وقت ثمين مر بهم . ينتظرون الموت بالجدال والكفاح والمزامير والطبول ولا يحاذرون على عمر يضيع بالقيل والقال . دع القلائل لاربابها والجدال لاصحابهِ وانس معترك الحياة

ثم مشيت بين الاشجار فرأيت شاباً جميلاً تظهر عليهِ دلائل الغنى والترف يتمايل في مشيتهِ ويتلاعب بعصا كانت بيدهِ ولكن ثيابهُ لم تكن تدل على انهُ